

ظاهرتا الحب والحزن في شعر باكثير

د. إنصاف علي ذاكر بخاري - السعودية

حفل الشعر العربي بقصائد الحب والحزن ، والمنتصح للمعجم الشعري العربي في هذين البابين يقف على ورود ألفاظ كثيرة تردد هذين المصطلحين من مثل : الحزن ، الغم ، النك ، الهم ، الكمد ، الآنين ، الألم ، الوجع ، المعاناة ، الشكوى . والحب ، الود ، الولع ، الهياق ، الشوق ، القلب ، الشغاف ، .. الخ مما يتصل بالشعور أو مظنة وجوده . هذا إضافة إلى التصوير الأحادي والمركب لنماذج وألوان الحب والألم ، الحسية والمعنوية .

وقد اقتضت حياة باكثير العاطفية والأدبية والاجتماعية أن ينهل من رادى الحب والحزن في الحياة وفي ديوان الشعر العربي الكبير بل قد نقلت بينهما عاطفته وماد على سفوديهما شعوره ، ومن ثمًّ أندانا بقصائد ارتوت من معينهما في عاطفته الخاصة فجاءت مشرقة الرؤى ، مطيرة المعاني ، ندية الشعور ، عابقة الشذى بغير الأصلة المتتجدة .

أولاً : الحب في شعر باكثير :

الحب الذي مثل دفق الحياة ونبض الروح في حياة باكثير هو خبه -(نور) تلك الفتاة الحضرمية التي تعلق بها صغيراً وكتب فيها قصائد صباح وكانت أول فتيل لمشاعر الحب العميق والأثير لديه .. أحبهما بكل خلجة في نفسه وبكل دفقة في فؤاده وتسللت إلى الكثير من أعماله ومراحل حياته فمثّلت له الدافع للحياة والجمال في الوجود والداعية للطموح والعمل للغد المشرق .

أورد د. محمد أبو بكر حميد جامع ومحقق تراث باكثير والمعنى به أن

باكثير قد أحبّ فتى تدعى (نور) منذ الصغر وتغنى بها في شعره وهو في الثالثة عشرة من عمره وعندما اعتزم الزواج تقدم إلى أهلها خطاباً فرفضوه لصغر سنها ، بعد ذلك سافر إلى أندونيسيا لرؤيه والدته بعد وفاة والده وظل هناك أربعة عشر شهراً يقنع أهل (نور) بقبوله ويستعين في ذلك بالوسطاء والوجهاء حتى تم له ذلك عام ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م فظن أن السعد قد ابتسם له وأنه لن يتذكر بعدها أبداً ، ولكن الموت هادم اللذات ومفرق الجماعات ؛ إذ قدر لحبيبه (نور) أن تصاب بمرض عضال يأخذ بيديها إلى الدار الآخرة . وبرحيلها يفقد باكثير بهجة الحياة .. أورد د. محمد أبو بكر حميد في جريدة القبس الكويتية^(١) أنه اطلع على رسائل عديدة لباكثير يورد فيها أنه أحسن بالوحشة والغربة في وطنه (سيئون) بعد وفاة (نور) وشعر بالوحشة المضنية والمؤرقة في بيته الذي كان يسميه (دار السلام) فلم يستطع البقاء فهرب من موطن ذكرياته وعنوان حبه (نور) إلى عدن فالصومال فالحجاز فمصر يلتمس السلوى وينشد النسبان والاستقرار النفسي ولكن .. هيئات .. هيئات ... حتى أضحت نور هي راقد شعوره الحياني ووقود إبداعه وفتيل طموحه ، إذ ظل يردد ذكرها صراحة أو ضمناً فيأغلب كتاباته وكأنها المرأة الوحيدة التي عرفها والزوجة الوحيدة التي اقتنى بها ففي رسالة بعث بها إلى أخيه من عدن بتاريخ ٢٨/٣/١٣٥١هـ = ١٩٣٢م يحدثه فيها عن قصيدة نظمها بمناسبة قيام الشائر (بن رفادة) خلط فيها بين قضية هذا التأثر وقضيته الشخصية ترد هذه الآيات :

نبا به وطن ومعشر	يالليل رفقا بالغريب
وأذاقه الملح المصبر	خطف zaman حبيبه
جوبا ، عليه يسلو فيؤجر	فضى يجوب الأرض

(١) محمد أبو بكر حميد ، صفحات من حياة باكثير ، جريدة القبس الكويتية العدد : ٣٢٣٣ الأربعاء ١٣/٥/١٩٨١م .

(٢) المصدر السابق نفسه .

علمًا بـأن سرورها لا ينتهي إلا إلى حزن يهدى الأضلاع
أو هــل يجــدي إذا حلــ القضاــ آهــ ! وما يــجــديكــ أن تــتــوجــعاــ
ويــعودــ باــكــثــيرــ إــلــىــ حــضــرــمــوتــ فــيــ أــوــلــ عــودــةــ لــهــ بــعــدــ غــيــابــ خــمــســةــ وــثــلــاثــينــ
عــامــاــ وــأــوــلــ مــاــ يــســأــلــ عــنــهــ هــوــ قــبــرــ الــحــبــيــةــ (ــنــورــ)ــ وــيــظــلــ فــيــ (ــســيــئــونــ)ــ شــهــرــاــ كــامــاــ
(ــثــلــاثــينــ يــوــمــاــ)ــ جــوــلــةــ الصــبــاحــيــ فــيــ زــيــارــةــ قــبــرــهاــ يــوــمــاــ بــعــدــ صــلــاــةــ الــفــجــرــ ...

وفي رسائل باكثير لأهله وإخوانه كما يقول د. حميد يختتم باكثير بالتحية
لأهل (نور) الراحلة وفي إحداها قال لأخيه (أواه يا أخي وواسفاه على تلك
ال أيام ثم يوصيه بتوظيف من يداوم الترحم والاستغفار على قبر زوجته بل نجده
بعد الآيات والسور المطلوب تلاؤتها على قبرها ويتكرر في ذيل كل رسالة،
«تحية وقبلة للبنت خديجة» ابنته من الراحلة (نور) وذلك قبل وفاتها^(٢).

ولعل الحب الأول الذي يعرفه الإنسان في الحياة هو حب الوالدين والتعلق
بهما.. والأم في حياة باكثير هي الحب الأول، والأم عنده والدته والأم في
شعره (مصر) التي احتضنته بشجونه وشُؤونه بأحزانه وإنكساراته بآماله
ونطاعاته فضمنت الجراحات واحتوت الخلجان:

أيها النيل كــمــ شــهــدتــ ســرــوريــ فــاــشــهــدــ الــيــوــمــ لــوــعــتــيــ وــأــنــيــ
وارث لــســيــ فــيــ تــوــجــعــيــ وــابــكــ بــيــضــ الــمــنــيــ مــعــيــ
يــقــولــ فــيــ مــنــظــوــمــتــهــ (ــنــشــيدــ الــأــمــ)ــ مــازــجاــ بــيــنــ أــمــهــ الــوــالــدــةــ وــأــمــهــ مــصــرــ لــتــيــ
أــحــوــنــهــ :ــ

(١) المخــرىــيــ يــذــلــكــ دــ.ــ مــحــمــدــ أــبــرــكــ حــمــيدــ مــشــكــورــاــ فــيــ حــدــيــثــ يــاضــاحــيــ مــنــهــ عــنــ بــعــضــ مــاــ خــفــيــ عــنــ حــيــاــ باــكــثــيرــ وــلــامــســيــاــ
فــيــ جــانــيــ الــحــبــ وــالــحــزــنــ .ــ

(٢) دــ.ــ مــحــمــدــ أــبــرــكــ حــمــيدــ (ــصــفحــاتــ مــجــهــوــلــةــ مــنــ حــيــاــ وــلــبــكــثــيرــ)ــ الــقــيــســ الــكــوــيــيــةــ ٣٢٣٢ــ الــأــرــبــاعــاءــ ١٩٨١ــ ٥ــ١ــ٣ــ١ــ .ــ

(٣) مجلــةــ ســنــبــلــاتــ بــمــنــاســبــةــ عــدــ الــأــمــ ،ــ قــصــاــنــدــ لــمــ تــشــرــ لــبــكــثــيرــ ..ــ رــفــنــيــ بــهــاــ دــ.ــ مــحــمــدــ أــبــرــكــ حــمــيدــ مــشــكــورــاــ .ــ

(٤) يقولــيــ إــحــدىــ قــصــاــنــدــهــ الــوــارــدــةــ فــيــ دــيــوــانــ (ــوــحــيــ ضــفــافــ النــيــلــ)ــ جــمــعــ وــتــحــقــيقــ دــ.ــ مــحــمــدــ أــبــرــكــ حــمــيدــ ،ــ وــزــارــةــ التــقــاــفــةــ .ــ

لــنــ تــفــحــ دــارــيــ حــضــرــمــوتــ فــيــ لــيــلــيــ فــيــ مــصــرــ بــيــنــ الــأــكــرــبــينــ ســعــيدــ .ــ

ثم يقولــيــ فــيــ آــخــرــ رــســالــةــ مــخــاطــبــ أــخــاهــ وــمــطــمــئــنــاــ لــهــ (ــســتــرــونــ أــنــيــ كــلــماــ
جمــحــتــ بــيــ الــأــفــكــارــ إــلــىــ الــمــاــضــيــ أــمــســكــ عــنــهــ وــصــرــفــتــهــ إــلــىــ الــحــاضــرــ وــلــوــلــاــ هــذــاــ
لــمــ أــســفــاــ وــكــمــداــ)ــ^(١) .ــ

يــقــولــ دــ.ــ مــحــمــدــ حــمــيدــ (ــوــلــ تــخــلــ رــســالــةــ)ــ مــاــ تــيــســرــ لــهــ الــاــطــلــاعــ عــلــيــهــ .ــ مــاــ
كــانــ بــيــنــهــ وــبــيــنــ إــخــوــانــهــ مــنــ ذــكــرــ لــمــحــبــوــبــةــ الــرــاحــلــةــ وــيــوــرــدــ بــيــتــيــنــ مــنــ إــحــدــيــ
رــســائــلــ يــشــيرــ فــيــ بــاــكــثــيرــ إــلــىــ مــحــبــوــبــهــ الــرــاحــلــةــ :ــ

ســلــامــ عــلــ أــيــامــ أــنــســ تــصــرــمــتــ بــوــصــلــ حــبــبــ فــاقــ كــلــ حــبــبــ
نــعــمــتــ بــهــ دــهــرــاــ وــلــمــ أــدــرــ أــنــهــ ســيــتــرــكــنــيــ فــيــ وــحــشــتــيــ وــنــحــبــيــ
وــيــظــلــ نــكــرــ الــمــحــبــوــبــ لــاــيــفــارــقــ خــيــالــ وــلــاــ لــســانــ وــلــاــ يــرــاعــ بــاــكــثــيرــ حــتــىــ لــنــ
مــســرــحــيــتــهــ (ــهــمــامــ أــوــ فــيــ بــلــادــ الــأــحــقــافــ)ــ الــتــيــ كــتــبــاــ فــيــ الطــائــفــ حــيــثــ تــعــرــفــ هــنــاكــ عــلــ
مــســرــحــيــاتــ شــوــقــيــ وــتــأــثــرــ بــهــاــ تــعــدــ صــوــرــةــ لــحــيــاــتــ الــعــاطــفــيــ الــشــخــصــيــةــ ،ــ بــلــ إــنــ مــســرــحــيــةــ
(ــأــخــنــاتــوــنــ وــنــفــرــتــيــتــيــ)ــ الــتــيــ كــتــبــاــ فــيــ مــصــرــ تــحــاــكــيــ أــيــضــاــ وــجــدــانــيــاتــهــ الــذــاتــيــةــ فــمــاــ أــحــزــانــ
(ــأــخــنــاتــوــنــ)ــ الــتــيــ صــورــهــ بــاــكــثــيرــ وــأــطــالــ عــلــ زــوــجــتــهــ الــأــلــىــ الــرــاحــلــةــ الــتــيــ فــقــدــهــ مــبــكــرــاــ
إــلــأــحــزــانــ بــاــكــثــيرــ الشــخــصــيــةــ عــلــ مــحــبــوــبــهــ الــزــوــجــةــ الــرــاحــلــةــ (ــنــورــ)ــ ..

وــفــيــ رــثــاءــ بــاــكــثــيرــ لــوــالــدــ فــيــ مــطــوــلــتــهــ الــعــيــنــيــهــ الرــائــعــةــ يــشــيرــ أــيــضــاــ إــلــىــ حــالــتــهــ

بعــدــ فــرــاقــ الــمــحــبــوــبــ فــيــ دــيــوــانــهــ (ــأــزــهــارــ الرــبــيــ فــيــ شــعــرــ الصــباــ)ــ
وــالــمــوــتــ غــاــيــةــ كــلــ ذــيــ رــوــحــ فــلــاــ يــذــرــ الــبــزــاــةــ وــلــاــ الغــرــابــ الــأــبــقــعــاــ
لــاــ يــرــحــ الرــجــلــ الــضــعــيفــ وــلــاــ الــقــوــيــ
وــلــقــدــ ســئــمــتــ الــعــيــشــ فــيــ الدــنــيــاــ وــمــاــ جــاــوــزــتــ بــعــدــ ثــلــاثــ عــشــرــ وــأــرــبــعــاــ

(١) انظر عدداً من رسائله في المصدر السابق نفسه.

(٢) وهي رسالة كتبها بتاريخ ٢٨/٥/١٣٥١ - ١٢ يونيو ١٩٣٢م و فيها يطلب من أخيه إيصال تحيته إلى كل من يمت
لمحبوبته (نور) بصلة . انظر المزيد في المصدر السابق نفسه .

(٣) ص ٢٥٢ .

(٤) في البيت خطأ عروضي والقصيدة من الكامل .

وفي قصيده (واقفة بالباب^(١)) يؤكد معناه السابق قائلاً :
 من كان تلهمه الرياض فإنني عين الفتاة ونهدها إلهاهي
 فالخمر في لعن الشفاه مدامه ومن اغتدى وابن الكروم مدامه
 يا آية الحسن التي عزت على شعر البليغ وريشة الرسام ..
 والهوى لديه هو آية من آيات الوجود ابتدأها آدم عليه السلام ، يقول في
 قصيده (يومان على الشاطئ^(٢)) .

تخفى على الجاهل والصابىء
 ألم يكن آدم بالبادىء؟!
 ويحلق باكثير مع الحب واقفا عند محطات عديدة للنساء تاركاً أثراً هائلاً
 وأخر هناك فتراه في قصيده (صائم)^(٣) .
 يقول :

سبعين .. ريان غير الروح صادية للحب في كبدى كالنار تكونى
 عنى ولا الصوم عن وجدى يستلىنى
 ولا التراویح عن ميسون تتشنى
 يرب ما أهون الدنيا وزينتها
 لو لم ينراها سنا من وجه ميسون
 وفي قصيده (في الأربكية)^(٤) يمزج جماليات الطبيعة بروعة الحب
 فكلما راقد جمال وعنوان بهجة يقول :

والجو وضاح الجبين صقيل
 رانت عليه بلاده وذهول
 أم ذاك وهم العين والتخيل؟!

عـيدك يا أمـي
 لـولاك يا أمـي
 كـيف أوـفيك
 أوـكيف أـجزيك
 ليـمنك يا أمـي
 كلـتاكمـا عـنـدي
 بـالـروحـ أـفـديـكـ
 اللهـ يـسـمـيـهاـ

وقارئ حياة باكثير والمتأمل في نتاجه الشعري يجد أن الحب الحقيقي لديه
 هو (نور) وهو المتجسد في قصة الحب القوية التي انتهت بمؤسسة تجسدت في
 موت الحبيبة وهذا فقد كان المحور الذي رفد مشاعر باكثير العامة تجاه أمته
 العربية والإسلامية وهو الذي نصر شعوره الوجданى تجاه المرأة عامة والحبية
 بصفة خاصة.

المـرأـةـ عـنـ باـكـثـيرـ :

وإن قارئ حياة باكثير أيضاً والمتأمل في نتاجه الشعري يجد المرأة لديه
 تحلى مساحات واسعة فحينما يصف وأخرى يتغزل وثالثة يغرق في الحب ورابعة
 يرثى ويبكي مفتقداً ... وهكذا ... وفي كلها يؤكد صدوره في الحب العام للحياة

عن حب المرأة .. وفي قصيده (ما هو الكون^(١)) ؟ يقول :

ما هو الكون غير فتنة حواء
 وما في حواء من إغراء !
 غير ذاك الذي يصير به الكوـ
 نـ نـعـيمـاـ عـلـىـ بـسـاطـ اللـقاءـ !
 لـيـتـ شـعـريـ أـكـانـ لـكـونـ مـعـنىـ
 لـوـ أـتـىـ آـدـمـ بـلـاـ حـوـاءـ ؟

(١) ديوان (وهي ضفاف النيل) ١٩٣٤ م - ١٩٦٩ م ص : ٩ .
 (٢) ديوان نفسه ص : ١٣ .
 (٣) ديوان نفسه ص : ٤٧ .
 (٤) ديوان نفسه ص : ١٠٣ .
 (٥) ديوان نفسه ص : ١٤ .

هـا نـذـا إـلـى قـلـبـي
فـذـاتـ فـيـهـما ذـاتـي
وـفـي ثـغـرـكـ يـاسـمـراـ
ءـ أـصـنـافـ الـحـلـاوـاتـ
يـعـ القـلـبـ مـنـ سـلسـاـ
لـهـ بـالـوـهـمـ كـاسـاتـ

فالعينان نافختان إلى القلب تفعل فيهما فعل السحر مقرئونتين بالثغر مجمع
الحلوات ، يعبُّ القلب منها ، وها كاسات من اللذة والجمال ، إلا أن الأمر لا
يخرج عن كونه توهّم الخيال ومنطلقاته . وها هو ذا في قصيده (حبٌ في
(١) المطعم) يدعوها لرفقته حيث لا رفيقه له ولا رفيق لها لكنه طهور الذيل ما
سـكـ طـرـيـقـ الرـبـيـةـ أـبـدـاـ يـقـولـ :

فـهـأـلـا لـاـرـفـيـقـ لـيـ
وـأـنـتـ لـاـرـفـيـقـ لـكـ
مـلـاـكـاـ لـمـكـاـ
أـلـاـنـكـونـ صـاحـبـيـ طـهـرـ
أـنـ الطـهـورـ الـذـيـ فـيـ الرـ
يـدـورـ قـلـبـيـ حـولـهـ كـوـكـ
لـاـنـسـ إـنـ لـقـيـتـ
يـاقـلـبـ لـدـيـهـ أـجـلـكـ

ويعود في أبيات أخرى (٢) ليؤكد أن الفنان عف الإزار يحوم ولا يرد يحلق
ولايقع ، تتبع التقوى خطاه وترافق الأخلاق سلوكه فيقول :

أـوـاهـ لـلـفـانـ عـفـ إـزـارـهـ
كـمـ ذـاـ يـذـوبـ فـوـادـهـ الـمـتـبـولـ
ظـمـآنـ وـالـمـالـ الـمـتـلـّـجـ دـوـنـهـ
مـلـ الـكـوـوسـ وـمـاـ إـلـيـهـ سـبـيلـ
تـبـعـ التـقـوـىـ خـطـىـ أـقـدـامـهـ
وـتـرـاـقـ الـأـخـلـاقـ لـحظـ جـنـوـنـهـ
وـحـسـبـهـاـ عـنـ الضـمـيرـ طـوـيلـ
الـحـبـ الـحـقـيـقـيـ وـالـمـلـهـمـ فـيـ حـيـةـ باـكـثـيرـ :

غير أن الحب الحقيقي والأكدر في حياة باكثير هو حب زوجته (نور) التي

حـتـىـ بـدـاـ مـتـمـاـيـلاـ فـيـ مـشـيـةـ
مـحـضـ الـأـلـوـثـةـ فـيـ مـعـاطـفـ قـدـهـ
وـعـلـىـ حـلـاهـ تـرـجـلـ مـغـسـولـ
عـفـافـ الـحـبـ وـطـهـرـ الـمـحـبـ فـيـ شـعـرـ باـكـثـيرـ :

وـعـلـىـ تـعـدـ وـقـاتـ باـكـثـيرـ مـعـ الـحـبـ وـالـمـرـأـةـ فـيـ قـصـائـدـ مـثـلـ : طـوـافـيـ
بـدارـهـ (١) ، بـائـعـةـ التـقـاحـ (٢) ، نـجـوـيـ عـاشـقـ (٣) ، فـيـ غـفـلـةـ الزـمـانـ (٤) ... إـلـاـنـ
الـحـبـ عـنـهـ عـفـافـ وـطـهـرـ قـدـ لاـ يـتـجـاـزـ الـخـيـالـ حـيـناـ وـالـوـهـمـ حـيـناـ آخـرـ مـعـ التـأـمـلـ
وـالـتـبـرـ فـيـ قـدـرـةـ وـجـمـالـ خـالـقـ الـجـمـالـ سـبـحـانـهـ يـقـولـ فـيـ قـصـيـدـتـهـ (ـماـهـوـ
(٥) الـكـوـنـ؟ـ) :

يـنـهـلـ الـحـسـنـ مـنـ غـرـاميـ وـلـكـنـ
كـلـ حـبـيـ طـهـرـ وـقـدـسـ وـتـسـبـيـخـ
أـنـاـ عـبـدـ الـجـمـالـ حـرـتـ فـيـ مـعـ
مـهـرـقـاـ فـيـ مـحـرـابـهـ ذـوـبـ قـلـبـيـ
أـعـبـدـ الـلـهـ فـيـهـ ، أـقـرـأـ فـيـهـ
إـنـ يـكـنـ فـيـ الـحـدـودـ جـسـميـ فـروـحـيـ تـهـادـيـ فـيـ الـعـالـمـ الـلـاهـيـ

وـبـالتـأـمـلـ فـيـ قـصـائـدـ الـحـبـ عـنـ شـاعـرـنـاـ وـهـيـ كـثـيرـةـ نـلـمـسـ صـرـاحـةـ أوـ

ضـمـنـاـ هـذـاـ الـمـعـنـىـ مـحـقـقاـ فـيـ قـصـيـدـتـهـ (ـوـحـيـ سـمـرـاءـ) :

عـلـىـ عـيـنـيـكـ يـاسـمـرـاءـ
مـصـدـاقـ النـبـوـعـاتـ
أـقـاماـ لـوـجـودـ الـلـهـ
تـرـفـرـقـ فـيـ زـجـاجـاتـ

(١) الـدـيـوـانـ نـفـسـهـ صـ ١٠٤ـ .

(٢) الـدـيـوـانـ نـفـسـهـ صـ ١١٩ـ .

(٣) الـدـيـوـانـ نـفـسـهـ صـ ١٢٢ـ .

(٤) الـدـيـوـانـ نـفـسـهـ صـ ١٢٧ـ .

(٥) الـدـيـوـانـ نـفـسـهـ صـ ١٢ـ .

(٦) الـدـيـوـانـ نـفـسـهـ صـ ١٨ـ .

عَزَّازِي فِي يَقِينِ أَنِّي أَلْقَاكِ فِي دَارِ الْيَقِينِ
 وَفِي قُصْدِتِهِ (مناجاة الحبيبين^(١)) أَيْضًا يَنْجِبُهَا صِرَاطُهُ فَيَقُولُ :
 يَانُورُ عَيْنِي يَا حَيَاتِي يَا مَنْ لَا أُنْتِ بِغَيْرِهَا فَكْرِي
 إِنِّي عَشَقْتُ فِي الطَّفُولَةِ حِيثُ كَانَ الْقَلْبُ صَافٍ وَالْهُوَى فَطَرِي
 وَفِي قُصْدِتِهِ أُخْرَى يَبْدُؤُهَا بِـ (إِلَى الَّتِي صَعَدَتْ إِلَى السَّمَاءِ وَنَرَكَتْيَ
 رَحِيدًا عَلَى الْأَرْضِ) يَسْتَوْصِي وَجُودُهَا الَّذِي لَا يَفْارِقُهُ فِي خَاطِبَهَا قَاتِلًا :
 أَنْتَ مِنْ أَهْوَاهِ صَبَاحًا وَأَتَاجِيهِ مَسَاءً
 لَمْ يَكُنْ لَوْلَاكِ سُعْيُ لِلْعُلُى إِلَّا عَنَاءً
 فِيكِ أَحَبَّتْ بِقَائِي .. فِيكِ أَحَبَّتْ الْفَنَاءِ
 إِنْ أَكُنْ أَرْضَا فَمَا ضَرَكَ لَوْ كُنْتْ سَمَاءً
 وَيَظْلِمُ بِكَثِيرٍ عَلَيْهَا بَاكِيًّا وَلَهَا رَاثِيًّا .. وَيُظْهِرُ ذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنْ قُصَادِهِ
 وَمِنْهَا قُصْدِتِهِ (البعث^(٢)) :
 مَاتَ الْغَرَامُ وَقَدْ بَكَيْتَهُ
 كَفَرْتَهُ وَدَفَنْتَهُ وَبَدَعَى الْقَاتِنِي سَقِيَتِهِ
 وَكَذَلِكَ شَائِئِتَهُ الرَّائِعَةَ (حواء^(٤)) الَّتِي جَاءَ مَطْلَعُهَا :
 فَلَبِيَ يَحْنَ إِلَى عَهْدِكَ وَإِلَى رِضَاكَ أَوْ صَدُوكَ
 حَتَّى يَقُولُ وَفِي كُلِّهَا بَكَاهَ عَلَى مُحِبِّيَّهُ ظَاهِرًا :
 اهْبَطْتَهُ مَنْ جَنَّتِهِ فَهَامَ فِي الدُّنْيَا شَرِيدًا
 يَبْكِيكَ فِي الْمَأْوَى وَيَبْكِي عَهْدَكَ الْعَهْدِ السَّعِيدَا
 كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى الرَّجُو عَإِلَى نَعِيَّيِ السَّالِفِ

اخْتَطَفَهَا الْمَوْتُ فِي رِيعَانِ الشَّابِ بَعْدَ سَنَتَيْنِ مِنْ زَوْاجِهِمَا وَظَلَّ يَبْكِيهَا طَوَالَ
 حَيَاتِهِ وَيَصْدِرُ عَنْهَا وَعَنْ شَعُورِهِ تَجَاهِهَا فِي كُلِّ قُصَادِهِ وَسَائرِ مَضَامِينَ .
 يَقُولُ بِكَثِيرٍ : « إِنِّي جُنْتُ عَلَيْهَا جُنُونًا حَقِيقَيًا ، وَلَمْ أَجِدْ لِحَيَاتِي بَعْدَهَا
 أَيْ مَعْنَى ، حَتَّى كَدَتِ الْحَقُّ بِهَا ، لَأَنَّهُ كَانَ يُخْيِلُ إِلَيَّ أَنِّي لَنْ أُسْتَطِعَ الْحَيَاةَ
 بِدُونِهَا »^(٣) .
 وَفِي قُصْدِتِهِ (إِلَى الْحَبِيبَةِ الرَّاحِلَةِ فِي حَضْرَمَوْتِ) يَقُولُ :
 يَا حَبِيبِي بَرَّ العَقْدِ وَلَمْ يَبْرُدْ عَلَى الرَّشْفِ صَدَائِيَا
 وَانْفَضَّ أَوْ أَوْشَكَ اللَّيلَ وَلَمَّا أَقْضَ مِنْ فِيكَ مَنِيَا
 آهَ مَآ أَحْلَكَ فِي قَلْبِي وَعَيْنِي وَلِسَانِي
 وَالْقُصْدِيَّةُ ثَانِيَّةٌ يَبْثُثُ فِيهَا الشَّاعِرُ أَنْ لِحَبِيبَتِهِ الرَّاحِلَةِ فِي نَفْسِهِ مَكَانَةَ تَعْدُلُ
 الرُّوحَ حَتَّى لَا يَدْرِي أَهِي نَفْسُهُ أَمْ مُخْلُوقَةً أُخْرَى فَيَقُولُ :
 أَنْتَ دُنْيَايِي وَدِينِي وَمَعَادِي وَضَلَالِي وَهَدَايَا
 لَيْتَ شِعْرِي عَنْكِ يَارُوحِي أَنْفُسِي أَنْتَ أَمْ أَنْتَ سَوَايَا
 ثُمَّ يَقُولُ يَا إِسْأَا شَقِيقَا مَشَنْتَا وَهُوَ عَادِدُ بَوْعِيهِ إِلَى وَاقِعِهِ الَّذِي غَادَرَهُ وَعَاهَدَهُ
 الَّذِي طَوَّهُ :

وَانْطَوْيَ الْعَهْدَ وَافْرَدْتَ لَأْشَقِي عَائِشَا فِي نَصْفِ رُوحِ
 لَسْيَتِهِ نَصْفَ سَلِيمٍ غَيْرَ مَمْتَيٍ بِأَشْتَانِ الْجَرْوَحِ
 فَلَمَّا مَلَأْتَ بَعْدَكَ أَوْ أَلْقَاكَ أَوْ فَلَاحِي بِالذَّكْرِ لَحِينِ^(٤)

(١) على أحمد ياكثير من أحلم حضرموت إلى هموم القاهرة، د. محمد أبو بكر حميد، دار المراجع الدولية للنشر ط١، ١٤١٨ - ١٩٩٧ م من ص ٣٨ .
 (٢) ديوان على ضفاف النيل : ٢٨ .

(٣) وعن سؤال وجہ إلى ياكثير مفاده: لو أن فتاتك كانت قد هجرتك لا يكون هذا أقصى على نفس المحب؟ أجاب بالعكس الهرج يمثل اعتزاز الإنسان بنفسه.. ولكن الموت الفقد الكامل.. الإحسان بالضياع التام في مثل تلك السن الغضة.. إنها مأساة تعود إلى الجنون والكمel أيضًا (من على ياكثير من أحلم حضرموت إلى...) من ٦٣ نقلًا عن مجلة الإذاعة والتلفزيون عدد ١٤١٣ هـ - ١١/١٤ ، ١٩٦٢ م ، القاهرة .

يا حر ناري من انتظارك
ومن أغاريد للطير
قد صرن كلا على ضميري
إذ غاب عني سنا الحبيب ...
^(١)

وفي قصيدة يرفى بناؤها الفني ويعلو تكنيكها الأدائي باتصال المعاني والخلو من الحشو يقول باكثير مستحضرًا حبيبته ومصاب فقدها عنده يفوق كل مصاب :

للمحبين ماله من عذاب
يا حبيبي لكشف هذا المصاب
ودموع من مقلتي في انسكاب
فيه الفاك يا أعز الصحاب
وسقانا بالبين مِر الشراب
في فوادي ومثل ما بك مابي
سيكون الشفيع يوم الحساب
والاولئك آصرة وقربا يمتن باكثير لصديقه (محمد علي لقمان) لوقفه بجانبه في
التواءات الحاجه ومنعرجات الضيق فتطل الحبيبة وشذى ذكرهاها وحضورها
بضمخ الأبيات بعقب المرأة في حنانها الفريد .. يقول في قصيدة عنوانها
(الحمي) :

ـ ذكر تلکم الروح الحنون
ـ مرور بناها فوق الجبين

ذكرت حبيبتي فهفا قلبي
فلو كانت معی لازال شکوی

(١) عنوانها (يا حبيبي) ديوان (على ضفاف النيل) : ١١٣ .
(٢) ملحق الأربعاء السابق ص : ١٢٥ .

أواه ياساعة المزار
سنت من رؤية الزهور
ومن نسيم ومن عبير
إذ غاب عني سنا الحبيب ...
^(١)

ليس ينوي لعقد حبك فسخا
تتلحظ قد شبها الوجد نفخا
ليتني يوسف وأنت زليخا
وفي قصيدة (مساجلة)
^(٢) :

وغرادر نار شوقي انقاد
وأضجعني على شوك القناد
وأشخى أن يصير إلى رماد
تذكر ربّعها أشجى فوادي
وأغرى بي الغرام فهدّ جسمى
أصرّت القلب نارا في اضطرام
وفي قصيده (في واقعة الحال)
^(٣) :

يقول (على) هل إلى الوصول واللقاء
سبيل ، فيحظى منها بنصيب
لصبّ كثيب دون كلّ كثيب
تراءت له حتى إذا ما تضررت
 وما ضرّها لو أسعفت بلقائهما
جوانحه من زفة ولهيب
طوت كشحها عنه ومالت وأعرضت
وبتجدد إطلالة المحبوبة في وجدان باكثير الذي لا يكاد يذهلها يتجدد الشكل
الأدائي للشعر الذي يعرضها ، وفي قصيدة له على غرار الموشحة نشاطره
شعوره الظاهر تجاهها في الأبيات :

ـ طال انتظاري عز اصطباري

(١) ديوان (علي أحمد باكثير أزهار الربى في شعر الصبا ، تحقيق وتقديم محمد أبو بكر حميد ، الدار اليمنية للنشر ط ١١) ١٤٠٨ / ١٩٨٧ م ، ص : ١٢٠ .

(٢) الديوان نفسه ص : ١٢١ .

(٣) الديوان نفسه ص : ١١٦ - ١١٧ .

(٤) ملحق الأربعاء .. جريدة المدينة عدد ٢ أغسطس ١٩٩٥ م ، ٦ ، ربيع الأول ١٤١٦ هـ ، ص : ٨ .

و شمس الضحى تشجي فؤادي بالذكر
و إن أعطيت ملك الدنيا عنك مصطبر
دفنتم عليا بين هاتيك الحفر

يقول درجاء عيد^(١) «إن النص لا ينبع من فراغ وإنما يتشكل في مادته اللغوية والفنية من معطيات جنسه الأدبي التي ترسخت جذورها في حلقها المنسبة إليه، ومن ثم فإن النص تتجسد مجالات تفرد في أسلوبه المصور فيه والذي يكسبه - في ذات اللحظة - تميزه داخل تشابهه بسواد وينحه قيمة متردة داخل قيم لها تفردتها هي الأخرى، ومن ثم يكون لكل نص في أدائه الخاص به خصوصية، وإذا كان النص يمتلك من مخزون لغة صاحبه فإن تركيائمه بما التي تميز أسلوبية النص وجماليات الأداء».

ومن شوق باكثير الجارف إلى محبوبته الراحلة يخلع الجاذبية الأرضية ويلحق في الفضاء ويتجاوز الكواكب بصحبتها ويدعانها وهي حيري سأله وتسأله عنهمما بل يتتجاوزان السدرة العلية ويريان الله في سبات نوره وجلاله وينبوان من ضيائه جل وعلا ونقض عن الشيبة والنظير ومن ثم يدخلان الجنة وأدخلنا الجنان فلم يفتنا بها أنس ولم يقصر رجاء^(٢)
وتزعانا إذا كان المساء^(٣)
ويطرربنا من الحور القاء^(٤)
ولكن ..

هذا يُعكر على الشاعر أنسه بمحبوبته وابتهاجه برفقتها في الجنان العربية وهموها وشجونها فيعذبه ضميره كيف يحيا سعيدا في هذا النعيم العلوي وهي شف في الأرض ويشقى بنوها فيستاندن عائدا إلى أرضه وحده بينما نظل هي

(١) في كتابه (آفاق النص الأدبي جماليات الأداء الفني) دار قطري بن الفجاءة للنشر ، الدوحة ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م ، ص : ٣٠ . بتصرف .

(٢) ديوان (أحني صفات النيل) ٩٨ - ٩٩ .

يذكرني البدر في غسق الدجى
أصبر عنك النفس والنفس مالها
لفتتم حبيب القلب أوَاه ليتكم

يقول درجاء عيد^(١)

ليمسحه ففاض من الجفون
كما يشكو الخدين إلى الخدين
وسلوى للعليل وللحزين
وكم كففت من دمعي السخين^(٢)

ويقول متھسا على زمان مضى وانقضى موجها حديثه إلى الحبيبة
الراحلة .

ولقد كتمتك والديار قريبة^(٣)
ما في هواك لقيت من أوصاب
فوددت لو أني بثثك مابي
حتى انقضى زمن التداني بالنوى
ولعل من أجمل الحضور الذي حققه المحبوبة في وجدان الشاعر ما ورد
 عند باكثير فها هي ذي تزورة في ليلة يشق نورها حجب الليل المعترك السواد
 حتى إنه ليتعذر إلا تتقضي هذه الليلة ولا يكون لها فجر لأنها منارة مضاءة
 مشرقة بنور حبيبته (نور) :

فيها الضياء كلية الفر
كيف اجتماع الشمس بالبدر
فدرجك خير من سنا الفجر
ذى ليلة غراء منتشر
أبدى الزمان لنا بها عجا

يا ليلى طولي بلا قصر
ومن أجل قصائد الحبيبة التي يتاثر فيها باكثير بمراثي العروبة قصيدة^(٤)
(الحب والذكر) التي تتدبرنا بنسيم مراثي الخنساء في أخيها صخر وهي من
أجمل ما أبدع باكثير شعوراً وتكليكاً فنياً ومنها :

(١) ووردت القصيدة في ديوان (سحر عدن وفخر اليمن) على باكثير ، جمع وتحقيق د/ محمد حميد ، دار حضرموت للنشر ومكتبة كلوز المعرفة جدة ، ط ١ ، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م ، ص ٦٤ .

(٢) ديوان (أزهار الربي ..) ص : ١١٤ .

(٣) الديوان نفسه : ص ١٢٥ .

(٤) ديوان (سحر عدن وفخر اليمن) ص ٦١ . وانظر أيضاً قصيدة (الحب والموت) الديوان نفسه ص : ٦٠ . وقصيدة^(١)
سلام على سينون) الديوان نفسه ص ٩١ ومنها :

سلام على قبر كريم لصاحب
نعمت به دهرًا وتهت به عصرا

في السماء .

ولكن في جوانحي اضطراب
ذكرت العرب أبناء الدراري
وسواس الملك من قديم
فعذبني ضميري كيف أحيا
ونالني القضاء فعدت وحدى
إلى أن يقول في رأته هذه ..
حبيبي مُرْ شعاعك فليحطني
إذا ما اليأس طم على فؤادي
حبيبي في اثنين أرى عزائي
للقاؤك وهو ك بالإيمان حق
ونهضة يعرب حتى أراها
فالحبية هنا ومن خلال هذه الرائعة الباكيرية ملهمة الشاعر ومنطلق
آماله ووقود جهاده:

فلي بشعاعك الدهر اهتداء
تو لولي في بيده الرجاء
وما للقلب غيرهما عزاء
سيجمعنا كما فصل القضاء
يظلُّ الخافقين لها نواء
وفي مطولة الشاعر (محمد رسول الله)^(١) أو (ذكرى محمد) التي
كتبها عام ١٩٣٤ م فيما يزيد على (٢٥٠) بيتاً أراه يخاطب النجمة وما أحسب
النجمة هنا إلا ظلال زوجه الحبيبة الراحلة التي هرب منها وإليها بأحزانه من
حضرموت إلى الحجاز^(٢) يقول:
كوني دليلي في محلوك الظلم
يسانجة الأمل المغشى بالألم
لي غير نورك من منجي ومعتصم

مضائق العيش بين الهم والسمق أنت الحياة ولو لا أنت ما اتسعت خلاصة القول في الحب :

إن الحب إذن أستاذ باكثير وملهمه^(١) ولئن كان موقد همه وحزنه فهو
شعاع همه وباعتث نشاطه وعمله الدؤوب من أجل رسالة الفن التي تصدر لها
بل عنه يصدر ومنه يمتحن^(٢) .

ثانياً : الحزن :

الحزن في شعر باكثير شعوريًا أمطرنا بكثير من القصائد التي يجر
الوفوف عند قيمها وتجلياتها ، ولئن كان الحب هو مثار حزن باكثير وألمه فإن
الحزن هو رفيق حبه ووسم اشتياقه وهيامه وتولعه في سائر غنائياته يقول د.

مصطفى ناصف « وإذا قرأتنا شعر الحب وجدنا نغمة الألم أوضح من نغمة
لسور وليس معنى ذلك أن المحب لا يجد تجربة المتعة والبهجة ولكن التجربة
حينما يعمقها الشاعر تذوب إذا فكر فيما لم يحصله ، ومن أجل ذلك تغنى
الشاعر بما فقده عالماً بأن ما فقده أجمل وأهم مما وجده » .

الرثاء :

فمة الألم فقد الموت فمة فقد ، ولهذا فأول قيم الحزن ومضمونه عند
باكثير هو الرثاء وهو مدح الميت وذكر مناقبه ولباكثير فيه قصائد كثيرة . إلا
أن الرثاء في وفاته الأولى هنا هو رثاء للمجاهدين والمناضلين ورثاء للقيم
الكبرى في الحياة بعد فقد زعيمها ورائتها والبطل الرمز الذي عُرفت به
ومرأى شاعرنا كثيرة تناولت : القادة والزعماء والأدباء ورموز الفن ، ولعل

(١) يقول محمد أبو بكر حميد (على لحمد باكثير من أحلام حضرموت إلى هوم القاهرة) ص ٣٦ محدثاً عن باكثير
(لكن لاستاذ الأول لم يكن شكسبير أو شوقي أو توفيق الحكيم ، وإنما كان شيئاً آخر اسمه الحب الذي كاد يعصي
يعجه ويفضي عليه ولكنه على العكس من ذلك وله الحياة من جديد وخلق منه شاعراً ملهمـا) .

(٢) انظر (على باكثير من أحلام حضرموت إلى ...) ص ٦٣ وباكثير يؤكد أن المسأة النفسية هي البوتقة التي تطلق
الفن وتنفتح قلبـه بعنـقـه .

(٣) اللغة بين البلاغة والأسلوبية د. مصطفى ناصف ، النادي الأدبي النقافي بجدة ، ١٤٠٩ هـ - ص ٣٦٨ .

(١) أصيب باكثير بمرض عصبي بسبب تعلقه بذكرى زوجه الراحلة ولم يجد لها من علاج سوى الهجرة بعيداً عن موطن التكريـت
فتجول في الصومـل وعـنـ ثم انتقل إلى الحجاز مـدة عـام متـقلـاً فيها ما بين مـكة والمـدينـة والـطـائف وـذلك قبل نـزـولـه مـصرـ .

(٢) انظر (د. محمد أبو بكر حميد على لحمد باكثير من أحـلامـ حـضـرـمـوتـ إـلـىـ هـوـمـ القـاهـرـةـ ...) ص ٣٨ .

(٣) جريدة المدينة ، الأربعاء العدد السابق ٦ ربيع الأول ١٤١٦ هـ ، ص ٩ .

تُلِمُ الضَّالُّ وَذِي أُوتْرَاتِهَا
 فَقَدَتْ فِي سَدْفَةِ اللَّيلِ الْقَمْرِ
 فَصَرَّ مَائِمُ وَالْأَهْرَامِ كَاسِفَةَ
 وَطَبِيَّةَ وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ بَكَاءَ
 وَرَبِيعَ الشَّامِ دَمْوَعَ ، وَكَذَلِكَ الْبَسْفُورُ وَفِي نَجْدِ حَسَرَاتِ تَنَاظُرِي وَبَغْدَادِ
 شَأْبَبِ تَدَرِ الدَّمْعِ وَعَلَى الْأَحْقَافِ آيَاتِ الْأَسَى وَفِي الْيَمِنِ دَمْوَعَ غَدَرِ
 مَنْ يَعْزِي الشَّرْقَ فِي أَحْزَانِهِ
 وَيَقْنِيهِ إِذَا مَا الشَّرْقَ سُرَّ
 عَطَلَ فَيَثَارَةَ الشَّرْقِ التِّي
 أَشْجَتِ الْدُّنْيَا مَلِيًّا وَالْبَشَرِ
 لَيْلَةَ شَوْقِي أَمِيرِ الشِّعْرِ
 عَبْرِي الْدَّهْرِ مَرَأَةِ الْعَصْرِ
 حَتَّى يَقُولُ فِي خَاتِمَةِ الْفَصِيَّدَةِ بَعْدَ مَرْوَرَهُ بَعْزَاءِ الْأَمَّةِ عَامَهُ وَآلِ شَوْقِي
 خَاصَّةً فِي مَصَابِهِمْ بِفَقْدِهِ :
 مَسْوَتْ شَوْقِي آيَةٌ دَلَّتْ عَلَى
 لَقْدَ احْتَلَّ الْمَوْتُ مَسَاحَاتٍ عَرِيشَةً فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ كَمَا أَنَّ النَّظَرَةَ إِلَيْهِ
 لَخَذَتْ أَبْعَادًا وَعَمَقًا^(١) وَلَئِنْ كَانَ مَأْسَاهُ فَفِي أَعْقَابِهِ حَكْمَةٌ وَفِي مَحْلُوكِ دِجَاهَا
 نُورٌ .

بَعْدَ الدُّجَةِ تَطَلُّعُ الشَّمْسِ وَالْهَمُّ يَكْمُلُ بَعْدَهُ الْأَسَّ^(٢)
 أَمَا مَرِثِيَّهُ الْهَمْزِيَّةُ فِي الْعَقَادِ ١٨٨٩ - ١٩٦٤ مَ فَأَحْسَبَهَا مُخْتَلِفَةً تَامًا ،
 رَبِّا بِحُكْمِ الصَّدَاقَةِ الَّتِي كَانَتْ تَجْمِعُهُمَا^(٣) وَلَئِنْ بَدَأَهَا بِخَطَابِ الْفَقِيدِ :
 كَيْفَ تَرْثِيكَ يَا أَيَا الشِّعْرَاءِ أَنْتَ فَوْقَ الرَّثَاءِ فَوْقَ الْغَزَاءِ ..
 يَامِدَّ بِالْعِرْفَانِ يَا عَاشِقَ الْعِلْمِ وَيَا سَاعِيَ لِكَشْفِ الْغَطَاءِ ..

(١) لَفْرُ (الْفَلَقُ بَيْنَ الْبَلَاغَةِ وَالْأَسْلُوبِيَّةِ) . د. مُصطفَى تَلْصِصُ ، الْفَلَقُ الْمُتَقْنِي بِحَدَّةٍ ١٩٨٩/١٤٠٩ م ، ص ٣٧٩ .
 (٢) مَطْلُعُ قَصِيَّةٍ (فِي ظَلَامِ السَّحَنِ) الَّتِي أَشَدَّ فِيهَا بِكَثِيرٍ بِالْمَجَادِلِ الْعَرَبِيِّ (مُحَمَّدُ عَلَى الطَّاهِرِ) ، مَجَلَّةُ الْعِلْمِ ، مَلِيُو ١٩١٤ م فِي الْجَمَادَةِ ١٣٨٢ م .
 (٣) لَفْرُ (عَلَى بِكَثِيرٍ وَكَذِ التَّحْتِيَّتِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ) . د. عَدْدُ الْعَزِيزِ الْمَلَاحِ ، دَارُ الْكَلْمَةِ ، صَنَعَاهُ مِنْ ٥٠ وَمِنْ بَعْدِهِ .
 (٤) أَوراقٌ مِنْ شِعْرٍ بِكَثِيرٍ الَّتِي كَانَ مَعَدًّا لِلشَّرِ - وِدِيَوَانُ (وَهِيَ ضَيْفَ النَّيلِ) مِنْ ١٨٦١ .

أَكْثَرُ الْمَرَاثِيِّ الَّتِي اسْتَهَلَكَتْ طَاقَاتِ التَّعْبِيرِ لِدِيهِ هِيَ مَرِثِيَّهُ لِحَافَظِ إِبْرَاهِيمَ
 وَأَحْمَدَ شَوْقِي وَالْعَقَادِ بِوَصْفِهِمْ أَحْبَبَهُ دَرَبُ وَأَصْدِقَاءُ إِبْدَاعِ ، وَمَعْرُوفُ لِلْمَتَصْفَحِ
 لِحَيَاةِ باكْثِيرٍ تَلَكَ الصَّدَاقَةِ الْمُكِيَّنَةِ الَّتِي رَبَطَهُ بِعَبَاسِ الْعَقَادِ وَأَمْتَاحِهِ فِي رَثَائِهِ
 لَهُ .. وَبِكَثِيرٍ حِينَ يَبْكِي هَؤُلَاءِ يَبْكِي الْأَدَبُ وَالْإِلَهَامُ وَيَنْعِي الصَّدَادِ الْعَرَبِيِّةِ
 وَيَأْسِي لِمَصَابِهِ فَفَقَدَ الرَّمْزُ فَقَدَ لَقِيمُ الرَّمْزِ يَقُولُ فِي رَثَائِهِ لِشَاعِرِ النَّيلِ حَافَظِ
 إِبْرَاهِيمَ^(١) ١٩٣٢/١٨٧٢ م

رَفِعُ الشِّعْرِ وَانْطَوْيُ الْإِلَهَامِ
 كَلِّ رَبِيعٍ مِنَ الْجَزِيرَةِ فِي
 هَذِهِ الْضَّادِ فِي الْمَدَامِ غَرَقِ
 تَنْدِبُ . ابْنَا لَهَا كَرِيمًا عَلَيْهَا
 وَالْفَصِيَّدَةِ الَّتِي تَرَبَّوْتَ عَلَى سَيْنَيْنِ بَيْتَنِي يُبَكِّي فِيهَا الْحَضْرَمِيِّ مَصْرُ وَعُمَانُ
 وَالْحَجَازُ وَبَغْدَادُ وَحَضَرَمُوتُ عَلَى فَقِيدِ النَّيلِ الَّذِي يَسْأَلُهُ بِتَعْجِبٍ حَزِينٍ :
 كَيْفَ فَارَقْتَ مَاءَهُ العَذْبَ هَلْ لَذَ
 كَمْ مِنْ بَعْدِهِ الشَّرَابُ الزَّوَامُ
 قَدْ بَرَانِي الْأَسَى عَلَيْكَ وَفِي الشِّعْرِ
 فَهُوَ لَا يَبْكِي رَجَلًا وَلَا شَجَرًا وَإِنَّمَا أَمَّةٌ وَضَادًا غَرَقِي فِي مَدَامِهَا فَدَ
 نَشَبَتِ فِي فَوَادِهَا الْآلَامُ ، رَثَائِهِ لِحَالَهَا الَّذِي سَتَوَلَ إِلَيْهِ بَعْدَ رَحِيلِ حَافَظِ عَنْهَا ،
 فَالْمَرْزِيُّ الْفَقِيدُ فَوْقَ الرَّثَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ حَزَنٍ :
 شَاعِرُ النَّيلِ كَيْفَ أَرْثَيْكَ قَلْ لِي
 وَمِنْ أَجْلِ قَصَانِدِهِ مَطْوَلَتِهِ الْأَخْرَى فِي رَثَاءِ أَمِيرِ الشِّعْرَاءِ أَحْمَدَ شَوْقِي
 ١٩٣٢-١٨٦٨ م وَمَطْلُعُهَا يُمَثِّلُ الْفَجِيْعَةَ الْكَبِيرَى :

سَائِلُوا الدُّنْيَا وَصِيحُوا فِي الْبَشَرِ مَادِهِيِّ الشَّمْسِ؟ وَمَا غَالَ الْقَمْرِ^(٢)

(١) أَوراقٌ مِنْ شِعْرٍ بِكَثِيرٍ الَّتِي كَانَ مَعَدًّا لِلشَّرِ - د. محمد أبو بكر جمِيد مشكورًا .
 (٢) أَوراقٌ مِنْ شِعْرٍ بِكَثِيرٍ الَّتِي كَانَ مَعَدًّا لِلشَّرِ - د. محمد أبو بكر جمِيد .

بلحظه المتأمل في قصائده من مثل : قصيده في تأبين الزعيم الأندونوسي
 (١) سموه) ومنها :

في الحادثات عليه نتكل
 للدين فيه مربع خصل
 ورعاه حتى كاد يكتهل
 قطانه العظام والرسل
 وخلال قصيدة يمر بنا الشاعر على الإسلام وقد درست معالمه وذلت ممالكه
 وأصيّت زواياه وريّعه في فن يمزج فيه الحزن لفقد فقد بالحزن فقد العالم الإسلامي
 (٢) لغزه وكملته وصدراته وكل تلك قصيده (رسول لوحدة العربية) ومنها :
 أبا غازي ! وما فينا فتن
 ربى دمعه إلا انسجم
 ما برأه يوم ودعت الألم ..
 إذا استجدت لم تلق غيرك من جدا
 فسافر بحيات القلوب مزودا
 غير توحيد شعوب العرب هم
 والقصيدة تتقطم المديح للفقد ، والفاخر به ، والعزاء للأمة فيه ، ثم خطابه
 لشياً لقاء المصطفى صلى الله عليه وسلم وآل البيت حيث سيحلّ لهم في كروم
 لخاً كبيراً معززاً لـ مواقفه المشرفة في خدمة العربية والإسلام . وبما يكتبه هنا
 يمزج مرجاً قوياً بين العربية والإسلام فالعروبة لم تبرز كقوة لها نقلها في العالم إلا
 بالإسلام ، والإسلام لم يخرج إلى العالم إلا من أرض العربية وبقوتها .

(١) لورق مصورة مما جمعه د. محمد أبو يكر حميد من شعر يكتب .
 مجلة الرسالة ، عدد ٦٢ ، ١٠٠ سبتمبر ١٩٣٤ م أول جمادى الثانية ١٣٥٣ هـ - ص ١٥٠٨ ورسول لوحدة العربية هو
 (قبيل بن الحسين) ملك الأردن .
 (٢) انظر (علي أحمد يكتب) شعره الوطني والإسلامي د. أحمد عبد الله السومحي ، النادي الثقافي بجدة ، ط ١ ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ص ٢٢٧ .

إلا أنه تخيل فيها هذا العملاق الساعي لكشف أسرار الوجود وقد رحل
 إلى ربه ليكشف له الستور فيرى يقيناً باقي الوجود الذي استتر عليه في
 مدارات الكون اللانهائي في السماء ويختتم بقوله :

إن إسرا رانا بغير حدود
 وسلام عليك إذ كنت في الأولى
 وإن العقاد من فلاسفة عصره والشعر والفلسفة كلّاهما تعمق في فهم
 الحياة وإذا كان الشاعر صاحب خيال وعاطفة والفيلسوف صاحب بديهية
 وبصيرة وتطبعات إلى المجهول فلا عجب من أن يرثى العقاد الشاعر
 والفاليسوف رائد الدعوة إلى الشعر الفلسفى بهذه الأبيات التي تتحوّل هذا المنحى
 في إخراجها (١) ، فالموت رحلة علوية يستكمل فيها المرء ما بدأه في الأرض وما
 كان مستغرقاً فيه معنياً به وهنا يهون أثر الموت وتجاوز فجيعة فقد (ولا يسع
 المرء أن يتتجاهل كيف تنتهي البهجة من الدموع ، وكيف لدموع السحابة أن
 تُضحك الأرض) (٢) .

رسم الحياة إلى عفاء
 ونهاية القرب الثنائي
 والفناء إلى فناء ..
 (٣) حين يدنى كل نامي
 والموت يقصى كل دان
 هذا على الصعيد الأدبي وعلى الصعيد الوطني والسياسي العربي
 والإسلامي العام نجد باكثير في مرائيه مازجاً بين الرسم والوسم ، بين
 الشخصية ودورها القيادي الفاعل في القضية العربية والإسلامية ، فالحزن هنا
 مضمض لاتصاله بحال الأمة والفجيعة أعمق لأنها كارثة لأمة الإسلام وهذا ما

(١) راجع (مدارس الشعر العربي في العصر الحديث) د. صلاح الدين محمد عبد التواب ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٥ م ، ص ١٦٦ .

(٢) (اللغة بين البلاغة والأسلوبية) ص ٣٦٩ .

(٣) ديوان (أزهار الربى ..) ص ٢٤٣ . والقصيدة في رثاء القاضي عبد القادر بن محمد بار جاء رحمة الله .

فُلْسَطِينُ (فُوزِيُ الْقَاوِقْجِي) فَيَقُولُ^(١) :

أَدْرُكْ عَرِينَكْ فَالْعَرِينَ يُضَام

وَبِكَثِيرٍ فِي قَصَائِدِهِ هَذِهِ مَجَاهِدُهُمْ وَثَانِيَّتُهُمْ بَعْدَ مَجاَهِدِ الْمُجَاهِدِينَ وَثَانِيَّتُهُمْ بَعْدَ مَجاَهِدِ الْمُجَاهِدِينَ

عِنِ الْعَالَمِينَ إِنْ لَمْ يَكُنْ فِي مَقْدِمَتِهِمْ بِقَلْمَهُ وَكَلْمَهُ ، وَلَئِنْ لَمْ تَكُنْ جَمِيعُ هَذِهِ

الْقَصَائِدُ فِي الرَّيَاءِ إِلَّا أَنَّهَا تَسْكُنْ مَسْلَكًا وَاحِدًا هُوَ بَكَاءُ الْعَروَةِ وَالتَّوْجُعُ وَالْأَلَمُ

مِنْهَا وَأَلْجَاهَا وَهَذِهِ نُونِيَّتُهُ فِي تَأْيِينِ الْقَادِيِّ الْإِسْلَامِيِّ الْإِلْصَالِيِّ (صَلَاحُ الدِّينِ

أَصْبَاغُ)^(٢) الَّتِي يَقُولُ فِيهَا عَلَى لِسَانِ الشَّهِيدِ فِي وَحْدَةِ عَضْوَيِّهِ تَنْظُمُ الْقَصِيدَةُ

كَلَّاهَا عَلَى نَحْوِ مَقْدِمَتِهِ بِكَثِيرٍ^(٣) :

أَنْتُمْ أَحْقَّ بِتَأْيِينِ الْوَرَى دُونِي

عَنْ مِيَّةِ الدَّاءِ أَوْ عَنْ مِيَّةِ الْهُوَنِ

حَتَّى يَقُولُ عَلَى لِسَانِ الشَّهِيدِ :

فَابْيَغُوا الشَّهَادَةَ لِلْدُّنْيَا وَلِلَّهِ

وَلِيَثُ أَيْوبُ يَرْعَكُمْ بِحَطِينِ

الْقَضِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ :

وَنَظَلَ الْقَضِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ وَوَحْدَةُ الصَّفِّ الْمُسْلِمِ هَاجِسُ بِكَثِيرٍ وَحَلْمِهِ وَنَظَلَ

فُلْسَطِينُ هُمْ وَشَغَلَهُ الَّذِي آتَى عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَجَاهِدَ دُونَهُ فَتَرَدَّ صَدِيَّ نَدَاءَاتِهِ

بَشِّلَهَا فِي قَصَائِدِهِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْوَطَنِيَّةِ ، فَقِيَّ قَصِيدَتَهُ (أَنْتَكَ الْعَروَةُ وَيَحِيَا)

يَهِيَّدُهَا

وَهَذَا هُوَ نَهْجٌ بِكَثِيرٍ فِي قَصَائِدِهِ فَهَا هِيَ ذِي قَصِيدَتِهِ فِي مَنَاجَاهِ الْمُجَاهِدِ

الْمَغْرِبِيِّ (عَلَّالُ الْفَاسِيِّ)^(٤) ، رَمْزُ الْحَرْكَةِ الْوَطَنِيَّةِ فِي الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ وَمَؤْسِسُ

حَزْبِ الْإِسْقَالِ الَّذِي اعْنَقَلَهُ سُلْطَانُ الْحَمَادِيَّةِ الْفَرَنْسِيَّةِ وَنَفْتَهُ^(٥) :

ذَكَرْتَكِ يَا عَلَّالَ وَالنَّاسُ هَجَعَ . وَلَيْسَ سُوَى جَفْنِي وَجَفْنَكِ سَاهِدًا

وَلَلَّهِمَ حَرَرْ فِي فَوَادِي قَاطِعَ . وَلَلَّهِمَ حَرَرْ فِي فَوَادِي قَاطِعَ

مَصَادِرُهَا عَنْ حَوْضِهِمْ وَالْمَوَارِدِ

تَدَاعَتْ عَلَى قَوْمِيِّ الشَّعُوبِ فَمَا وَنَتْ

إِذَا خَاتَنَا وَغَدَّ مِنَ الْعَرَبِ سَافِلَ .

فَاهَ كَلَّا شَاعِرُ غَيْرِ أَنِّي

وَلَكِنْ كَلَّا دِينِي دِينِ يَعْرِبِ

وَفِي دَمِهِ سَعْدٌ وَعَمْرٌ وَخَالَ ..

وَفِي الْقَصِيدَةِ تَعْتَرِي الشَّاعِرُ حَرَقَةً وَاضْحَاهَ عَلَى التَّرَاجُعِ الْمُهَمِّينَ الَّذِي

تَسَامَهُ الْعَرَوَةُ وَالْدِينُ

وَدَدَتْ لَوْ أَنِّي فِي فُلْسَطِينِ ثَانِيٌّ لَأَهْلِي تَنْعَانِي الظَّبَى لَا الْقَصَادِ

وَمِثْلُهَا لِبِكَثِيرٍ (رَيَاءُ عَارِفٍ)^(٦) :

نَبَأَ مَا جَاءَنَا جَلِلَ .

مَادِهِ السَّهْلُ وَالْجَيْلُ .

وَهُوَ عَبْرُ لِيْسَ يَحْتَمِلُ .

فَسَرَى فِي الْأَرْضِ يَنْتَقِلُ .

(عَارِفٍ) رَكِنَ لِنَهْضَتِنَا .

وَكَهَانِتِنَ فِي الْمَدِحِ وَمَشَاطِرَةِ الْآلَمِ وَالْآمَالِ قَصِيدَتِهِ (إِلَى قَائِدَنَا الْأَكْبَرِ)

وَفِيهَا يَحْيَى أَكْبَرُ قَوَادُ الثُّورَةِ السُّورِيَّةِ أَيَّامُ الْإِسْتِعْمَارِ الْفَرَنْسِيِّ ، قَائِدُ الْإِنْقَاذِ فِي

(١) دِيَوَانُ (وَحِيٌ ضَفَافُ النَّيلِ) صِ ١٣٠ .

(٢) مِنْ نَوْعِ الْمُكْرِكِينَ الْعَرَبِ الْمُسْلِمِينَ ، دِيَوَانُ مُحَمَّدٍ بَنْ يَوسُفِ الْمَسْلِمِيِّ الْأَصْلِيِّ وَالْأَعْرَقِيِّ ، خَاضَ مَعرِكَةَ مِلْيُونِ

الْمُهْرَةِ وَشَدَّ سُقْطَةَ سُورِيَا فِي يَدِ الْفَرَنْسِيِّينَ ، التَّحْقِيقُ بِالْجَيْشِ الْعَرَبِيِّ ، حَارَبَ هَذِهِ الْإِنْجِلِيزَ ثُمَّ لَجَأَ إِلَيْ إِنْجَلِيزِيَا

(٣) نَفَلُ : فَاسِدٌ .

(٤) عَبدُ السَّلَامِ مُحَمَّدُ عَارِفٍ ١٩٢١-١٩٦٦ مَ ثَانِي رَئِيسِ جَمْهُورِيَّةِ الْعَرَاقِ وَكَانَ إِسْلَامِيًّا وَطَنِيًّا مُخْلِصًا . انْظُرُ الدِّيَوَانَ

(٥) الْبَاقِيَ نَفْسِهِ صِ ١٢٣ .

(٦) الْبَاقِيَ نَفْسِهِ صِ ١٢٦ .

(١) انْظُرُ دِيَوَانَ (وَحِيٌ ضَفَافُ النَّيلِ) صِ ١٠٦ .

(٢) انْظُرُ دِيَوَانَ (وَحِيٌ ضَفَافُ النَّيلِ) صِ ١٠٧ .

(٣) نَفَلُ : فَاسِدٌ .

(٤) عَبدُ السَّلَامِ مُحَمَّدُ عَارِفٍ ١٩٢١-١٩٦٦ مَ ثَانِي رَئِيسِ جَمْهُورِيَّةِ الْعَرَاقِ وَكَانَ إِسْلَامِيًّا وَطَنِيًّا مُخْلِصًا . انْظُرُ الدِّيَوَانَ

الْبَاقِيَ نَفْسِهِ صِ ١٨٤ .

قام دولة إسرائيل في فلسطين في مايو ١٩٤٨ ومنها^(١) :
 لا أسمع غير الصدى إلى يعود
 هل لكم في الزمان بعد وجود
 أقصـور تضمكم أم الجود
 مسوتوـا على الهوان وبيدوا
 تـمـريـها صـوـاعـقـ وـرـعـودـ
 مـنـكـمـ أيـهاـ العـبـدـ العـبـيدـ
 وبـطـلـ الحـزـنـ غـاشـيـاـ حـيـاةـ باـكـثـيرـ لـحـالـ أـمـتـهـ عـامـةـ فـهـاـ هوـ ذـاـ فـيـ قـصـيدةـ
 (شكوى مهموم) : ما أحـسـبـهـ إـلاـ وـاصـفـاـ حـالـهـ :

هـالـهـ ماـ جـالـ فـيـ أـمـتـهـ
 مـنـ عـذـابـ وـبـلـاءـ مـسـطـيرـ
 مـولـعـ بـالـسـفـكـ مـسـلـوبـ الضـمـيرـ
 عـرـقاـ وـاهـتـرـ كـالـطـيرـ الـبـلـيلـ
 فـيـ الـأـرـضـ يـغـشـاهـ الـذـهـولـ
 وـهـيـ صـورـةـ تـخـلـعـ عـلـىـ ذاتـ الشـاعـرـ وـمعـانـاتـ الـتـيـ لـاـ تـخـالـهـ فـيـ كـلـ

لـادـاعـهـ وـهـاـ هـيـ ذـيـ نـطـلـ فـيـ قـصـيـدـتـهـ (ـذـكـرـ الـمـولـدـ النـبـويـ) :
 آهـ يـالـيـلـةـ مـيـلـادـ النـبـيـ
 كـمـ شـحـتـ ذـكـرـكـ مـنـ قـلـبـ شـجـيـ
 شـفـهـ الـحـزـنـ عـلـىـ أـمـتـهـ
 أـمـةـ الـمـسـوـءـاتـ وـالـمـاضـيـ السـنـيـ
 وـقـدـ سـجـلـ باـكـثـيرـ أـهـمـ الـقـضـيـاـ فـيـ شـعـرـهـ ،ـ فـوـقـ عـنـ الـوـحدـةـ الـعـرـبـيـةـ وـدـعـاـ
 لـيـاـ وـقـفـ عـنـ مـشـكـلـةـ فـلـسـطـيـنـ وـتـعـمـقـهـ تـارـيـخـاـ وـفـكـرـيـاـ ..ـ وـكـانـ مـذـكـراـ بـمـاضـيـ
 الـمـسـلـيـنـ الـعـرـبـ وـأـمـجـادـهـ ،ـ مـتـحـسـرـاـ مـتـأـلـماـ عـلـىـ مـاـ أـصـابـهـ مـنـ شـتـاتـ ،ـ دـاعـيـاـ
 إـلـىـ الـنـهـوـضـ بـحـبـ كـبـيرـ وـغـيـرـهـ عـظـيمـةـ وـلـهـذاـ فـقـدـ كـانـ يـعـتـصـرـ الـأـلـمـ لـآلـمـهـ

إـلـىـ الـمـجـاهـدـ الـفـلـسـطـيـنـيـ (ـأـكـرمـ زـعـيـترـ) ^(١) :
 كـفـيـ دـمـوكـ يـافـلـسـطـيـنـ الـعـلـاـ وـتـحـلـمـيـ
 أـفـتـيـاسـيـنـ وـفـيـ بـنـيـكـ فـتـىـ أـغـرـكـ (ـأـكـرمـ)
 وـفـيـ قـصـيـدـةـ (ـحـلـ الـوـحدـةـ الـعـرـبـيـةـ) ^(٢) :
 آذـنـيـ الـهـمـ وـأـبـلـاتـيـ الـضـجرـ
 صـورـ الـحـربـ اـرـتـمـتـ فـيـ أـفـقـهـاـ
 وـفـيـ (ـهـذـيـ فـلـسـطـيـنـ) ^(٣) :
 هـذـيـ فـلـسـطـيـنـ تـسـيـلـ دـمـاـ
 يـهـوـيـ الـشـهـيدـ عـلـىـ الشـهـيدـ بـهـاـ
 وـفـيـ (ـفـلـسـطـيـنـ الـمـجـاهـدـةـ) ^(٤) :
 أـلـاـ لـيـتـ شـعـرـيـ كـيـفـ تـصـيرـ يـغـرـبـ!
 وـجـفـنـ فـلـسـطـيـنـ دـمـاـ يـتـصـبـ?
 لـعـارـ بـكـمـ أـنـ تـسـتـطـيـعـاـ غـيـابـهاـ
 وـلـوـ لـمـ يـكـنـ فـيـ مـوـتـهـ مـوـتـ أـمـرـكـمـ لـأـوـدـتـ وـلـمـ تـفـتـحـ فـمـاـ بـأـغـيـثـوـنـيـ
 وـمـنـ أـبـرـزـ قـصـائـدـ بـاـكـثـيرـ الـتـيـ تـقـطـرـ حـزـنـاـ وـتـنـقـدـ غـضـبـاـ وـأـكـثـرـهـ جـرـأـةـ ^(٥)
 قـصـيـدـةـ (ـيـابـنـيـ يـعـربـ) وـقـدـ لـهـ بـكـونـهـ صـرـخـةـ حـزـنـ نـظـمـهـ قـهـرـاـ فـيـ لـيـلـةـ إـعلـانـ

(١) من مواليد (نابلس) مجاهد بالكلمة والفعل ، حمل على عاتقه شرح عدالة قضيته للعالم خارج حدود فلسطين رغم ملاحة القوات البريطانية له .

(٢) الديوان نفسه ص : ١٢١ .

(٣) الديوان نفسه ص : ٨٦ .

(٤) الديوان نفسه ص : ٥٥ - ٥٦ .

(٥) حيث لم يكن الشاعر يواجه المجتمع أو سوء نظامه أو تجاوزات قادته مواجهة صريحة وإنما كتابة ورمزا . راجع (ـاللغة بين البلاغة والأسلوبيةـ) ص ٣٧٣ .

كانت الموسيقى زمنية مزمنة أي اقتاص زمن في تتبع تنظيمي فهي لاتملك سوى الصوت وهو لا يملك التعبير الكامل بينما تكون الكلمة أو الكلمات هي التي تبين عن الداخل وهي التي تساند الموسيقى للتعبير عن موضوعية الخلجان والمشاعر والأفكار .. والشعر إذ يعتمد على الكلمات بحسبها وسليته وأداته الوحيدة فإنه ينتشلها من تشتتها في النثر ومن تبعث طاقاتها الصوتية ليكتبها بالوزن نظاماً من غير النظام وإيقاعاً من الفوضى اللفظية ، ومن ثم فإن أداءه الذي يتدفق من ذلك التسلق النغمي الذي يستطيع في كثير من الأحيان أن يعبر عن الجانب الروحي والروحاني في القصيدة وإن حسن الاختيار واتساق الأصوات داخل السياقات ليشكل التأثيرات النغمية التي تحضن القصيدة في رحلتها الفنية وتنطل العلائق المتباينة في تضاعيف البناء الكلمي هي العلاقة كذلك بين الذات والآخرين والوجود ...)^(١) .

رثاء الأهل والأقارب :

وإذا انسننا من الحزن العام الممترز بالشعور الخاص عند باكثير منعطفين إلى تلافيف الشعور حيث لا يتسع الفضاء الرحب إلا لفتات الشاعر المتباينة بمقاسيه الخاصة أو بخصوصية تجربته المأساوية فهنا متناثق بوقفاته عند وفاة ابنته (خديجة) التي رُزقها من (نور) الحبيبة وأسمها (خديجة) على اسم زوجة أبيه ووفاء لها وقد ورد أنها توفيت و عمرها ثلاثة أعوام غرقاً في بركة ماء عام ١٩٣٤م بعد وصول والدها إلى مصر^(٢) . وذكر د. محمد حميد أن باكثير أكثر من سبع عشرة رسالة يذكر فيها باكثير ابنته (خديجة) ويسأل عنها . حتى إذا اختارها الباري سمحانه إلى جواره مع والدتها شعر باكثير بأن لخط الأثير الوحد والوثيق الذي يربطه بحضورهما قد قطع . وأورد د. محمد

ويهزه الطرب لأفرادهم ، وعاش متراجحاً ما بين هذه الآلام والأفراح^(١) .. مدافعاً عن قيمهم ومتّهم ، ومنافقاً عن كيانهم بفكه الحر وبمبادئه الطلاقية وبصراحته المدوية وكل بقاع العروبة لديه سواء :

إن آمال يعرب آلمى

فخذوها عنِّي الجزيرة أمري
وينو يعرب كلهم أينائي^(٢)
وألوان الحزن عند باكثير لم تقف في مرتيناته وبكتاراته عند الأدباء
والعظماء وبكاء المدن كحاله مع فلسطين بل شملت أيضاً رموز الفن بها هي
ذى قصيده (في وفاة المغنية المصرية (أسمهان) فقيدة الفن وهو فيها يتشى
على صوتها الذي خلق للخلود لا للفناء والذي أسمعه الله لأهل الأرض حتى
يشتاقوا إلى النعيم المقيم في السماء حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت، فهو لا
يرثى هنا مطربة وإنما آية من آيات جمال الله في أرضه^(٣) تزيد من إيماناً
بالخلق جل وعلا فيقول :

ما عزائي مـن بعدها بنـشـيد
أـين مـن صـوتـها حـنـاجـر طـير
صـوتـها الصـوتـ لـلـخـلـود ولـلـفـرـدـوس
أـسـمـعـ اللهـ مـنـهـ لـلـنـاسـ حـيـناـ
لـسـيـرواـ أـنـ مـاـ عـلـىـ الـأـرـضـ فـانـ
إن القافية الهمزية هنا اختيار موفق من الشاعر الفطن فحين يتحدث عن
الغناء بتموجاته وامتداداته التي تعانق أجواء العلاء وتکاد تلامس السماء يكون
من جماليات الكمال هذا الروى المشبع بالخففة والكسر والمردوف بالانطلاق
والفتح حيث الانساح النغمي للصعود غير المتناهي في الأداء والجمال (ولما

(١) انظر (علي أحمد باكثير حياته وشعره الوطني والإسلامي) ص ٢٦٦ - ٢٦٨ بتصريف .

(٢) الديوان السابق نفسه من قصيدة (صوت مصر) ص ٣٥ .

(٣) الديوان نفسه : ١٠١ .

(١) نثوق النص الأصلي . د. رجاء عبد ص ٣٢ ، ٣٢ بتصريف .
(٢) د. محمد أبو يكير حميد صفحات مجهرولة من حياة وأدب باكثير ، جريدة القدس ، العدد ٣٢٢٢ الأربعاء ١٢/٥/١٩٨١م .
(٣) الكويت .

لعرض نفسه نقف على بيتين رثى بها ابنته الأولى من زواجه الأول الذي لم يعرف به باكثير وجداه على الرغم من أنه قد رزق منه بطفلة اخطفها الموت بعد ولادتها بأيام .

والشاعر كما يشير د. محمد حميد في (ديوان أزهار الربى ..) لم يكن سعيداً بمقام هذه الطفلة التي خاطبها بعد وفاتها ببيتين عنونهما بـ (أنت باكورتي) جاء فيما :

أو متى فاذبهي بسلام
لها البنت إن سلمت فأهلاً
أن تكوني باكورة لهم
أنت باكورتي وحسبك فخراً

ومن ثم سألني في المقام نفسه من رثاء الأهل والأقارب بقصيدتي باكثير

^(١) (الاثنة) و(واعمام) أما الأولى فمطولة يرثى فيها والده أحمد بن محمد باكثير المتوفي عام ١٣٤٣/١٩٢٥ م في سينون بحضرموت وفيها هي لا يرثى الرجل الوالد بمقدار ما يرثى الفخار والعلاء والمكارم والمناقب والكرم والعلم والحمد والأخلاق التي تحكي النسيم طلاقة ولا عجب إن أن يبكي لفقده السخاء وأن تتعيه التقوى ويفتقده المصحف ..

المفضل من حاز الفخار منوعاً
جم المفاحر والمناقب (أحمد)
يطأ السهمي وتواضعاً وترفعاً
علماً وحلاًماً واسعين وسُودداً
ياليت فجر صباحها لم يطلعها
غضن الندى في ليلة منحوسة
آه وهل يجدي إذا حلَّ القضا
آه وما يجدي أن تتوجعاً!
فالله يرحمه ويجعل قبره
روضاً فسيحاً مستيراً ممراً ..

والمطولة على ماحوت من شيم الفقيد فبكت وأبكت يزيئها التناص الألبني وب Yoshiyeha الاقتباس القرآن ويشذيها عبق البر ويسنئها الدعاء الموشى بالصلة والسلام على خير الأنام صلى الله عليه وسلم إضافة إلى قافية العين التي تناسب

أبوبيكر ذكر القصيدة التي أرسلها (عمر أحمد باكثير) إلى ابن عمها وصديقه (علي) يعزيه بها في ابنته (خديجة) وذلك في ١٢/٣/١٣٥٣ هـ = ١٩٣٤ م ومنها :

^(١) أعزى ابن أحمد بالوحدة
سليلته البضعة الماجدة
فشتلت يد لورى واحده
أعزى باليت إذ اكدرت
وفي مائتها درة بانده ..
ولعل ظلال (خديجة) أيضاً وخيالاتها قد تابعت باكثير فهي حبة القلب
وفلذة الكبد وابنة أحبت امرأة وثمرة أكبر وأعمق حب ولعلني ألمح ظلالها في
قصيدة لباكثير استوقفتني .. جاء فيما:

مَا كَفِيَ إِلَيْهِ
فَهَقَّ لَبِيَ إِلَيْهِ
ضاحك طلق المحيا
رَفِرت روحي عليه
ذَكَرْتني مقلتاه
مَقْلَتِي خَلَ عَرْفَتَه
وَحَكَتْ لِي شفتاه
كَلَّا مِنْهُ أَفْتَه
لَيْتْ شَعْرِي أَتَرَاه
كَانَ هَذَا الطَّفْلُ سَرَا
لَيْنِي يَا قَلْبَ لَدِيكَا
فَعَسَاهَ حَسَنَ مَرَا
بَسِيَّنِي قَدْ حَنَ إِلَيْكَا
رَاحَتِي بَاحَتْ بِحَبِّي
حَسِنَ لَامْسَتْ يَمِينَه
وَفِي سَالِ بَقْلَبِي
جَاهَدَأَ يَلْغُ نَطْقاً ..
لَيْتَهُ يَنْطِقَ صَدْقاً ..

والقصيدة بوقفتها الحانية هذه عند الطفولة ذكرتني بـ (خديجة) إذ لعله قد لمح في طفولة هذا الصبي طفولة ابنته الفقيدة فحنَ إِلَيْهِ حَنِينَهُ إِلَيْهَا .. وفي

^(١) ديوان (أزهار الربى في شعر الصبا) ص ٢٥٣ وما بعدها .

أو بالحبيبة والحبيب^(١)
 ما شأن خلكما الغريب
 أمر - لعمركما - عجيب
 وسؤاله فيها مريب
 ع لها بخديه صبيب
 باللطف مرعاه الجب
 قلب بجنبه كثيب
 والقريبة والقريب
 يدعو وليس له مجيب
 إحساس أولى طبعي بالالغتراب لمن هو في مثل ظروف شاعرنا خرج
 مهاجرًا من وطنه يلواح آلامه وشجون آماله ، بظلال حبَّ فقيد ، يلتمس
 السلوى وينشد السكن والسكنينة إلى بلد غريب عنه ، يشعر فيه بنقص وسائل
 القوة وخفوت الانتقاء^(٢) ، الأمر الذي يضعه في غربة نفسية واجتماعية قهريَّة
 مالم يكن بطبيعة اجتماعية وقدراً على الفرز فوق الجسور والانحراف مع
 الآخرين والانصهار في المجتمع الجديد أو البيئة المغایرة وبكثير لا يعاني
 لغزًا اجتماعيًّا نفسيًّا على العكس فهو متصل بمعاصريه عاطفيًّا وإدراكيًّا ، هم
 أحبائه وليسوا غرباء عنه ، وهذا ما يجعله يبحث عنهم ويلح في البحث وقد
 رأى عليه الكآبة وعاوده وحزن الكروب ولأن شاعرنا ممن تتطبق عليه سمات
 العقريَّة من حيث كونها عملية إيماج (الأنا) مع (الآخرين) في بناء اجتماعي
 متكامل هو (النحو) ومن حيث كونه - أعني بكثير - شخص تنظيم علاقه
 بمجاله الاجتماعي فتبرز لديه الشعور بالحاجة إلى «النحو» ويجعله الارتباط

موافق الفقد وقد أكثر منها الشعر العربي على مر عصوره إضافة إلى ألف
 الإطلاق الأخيرة التي تكسب الإيقاع فسحة تعبيرية وانطلاقه شعورية تتطلبها
 موافق الحسرة والشدة والألم .. وأما نونيته (واعماه)^(١) فيبني عليها عمَّه محمد
 بن أحمد باكثير عالمة حضرموت المتوفى في محرم من عام
 ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م متحسراً على حرمانه من مجالسه عمَّه ومن نفائسه ودر
 كلامه وجميل بيانه :

كيف السلو؟! وقلبي مطعون
 إذ قيل عمك تحت الترب مدفون
 أنعم بها موتة عزت نظائرها
 بمثلها قلب ذي الإيمان مفتون ...
 فيقاله أسف في القلب مكتون !!
 أبغى مجالسه أرجو نفائسه
 إذ جاءه في نعيه لأذر حامله
 والقصيدة أيضًا يبكي فيها بكثير ويستبكي فقد علمًا لم يعش لنفسه وإنما
 لغيره .. فكلالهما (أبوه وعمه) أمة في العطاء ومدينة في الخير ..^(٢)

الغربة من قيم الحزن :

ومن قيم الحزن عند باكثير الغربة وهي سحب غائمة تظل بروحها الشفافة
 من كثير من تجاربه الشعرية ولعلي أحدها بارزة صراحة في قصيده (الرفيق
 المضاع) وإن كانت تتحوّل منحًا فakahia ظريفاً في معناها وعروضاً خفيفاً في
 مبناتها^(٣) . والقصيدة مفادها أن الشاعر كان يجلس ذات مرة مع الشاعر صالح

جودت والشاعرة جميلة العلياني وذلك في أول عهده بمصر ، وإذا به بعد قليل
 يفاجأ بها يختفيان ولم يعثر لهما على أثر ومن هذه القصيدة التي نحو منحي
 القصة قوله :

(١) ديوان (وهي ضفاف النيل) ص : ٥٣ .

(٢) وعلى هذا يشير في قصائدته التي يرثى فيها شقيقه الأكبر عبد القادر باكثير أو العلامة عبد الله باكثير أو سلطان حضرموت الذي ثُوى بجبل عرفات يوم الوقفة العظيم وغيرهم ، انظر ديوانه (أزهار الربي ..) ص ٢٦٦ - ٢٨١ .

(٣) هي على مجزوء الكامل المزيل .

قطع الغيم في الأفق الرحيب
 و على روعة و جمال مفردات الطبيعة التي كونت النص إلا أن الشاعر قد
 ظللها بقلمه ، فالضياء يثوي والنور يغيب و قطع الغيم في المرعلى يساق بعنف
 وجفأ و سياط تمري دموعه و غزلان السماء تروع ، والشاعر أمام هذا المشهد
 و تلك الصور المركبة يتلوى حزنا و يعتصر ألمًا يحمله على التدخل لطلب الرفق
 و اللطف بقطع الغيم من رعاته .. و ثم لا يلبث أن تعرّيه إفادة الوعي فينافت
 فإذا به يصر النجود بهجات يتدفق منها الماء الغزير والزرع والمروج نضيرة
 يهتر طربا ، والزهر في الأرض باسمًا للندى ، وأصوات الطير تسمع الأغصان
 هواها .. ياله من تكنيك متقدم للقصيدة لدى باكثير فهي رمزية عميقه الإيحاء
 كانت أن تقع في الوضوح الكاشف لو لا أن الشاعر قد أحكم وثاق مداخلها مرة
 أخرى في براعة بديعه :

حينما تشقو غزلان السماء؟!
 وسيجزيكم غدا شرّ الجزاء
 ختم الله عليهم بالشقاء !!!
 وبالقصيدة جمال كالحب يمنح الفرح والإحساس العميق بالرغبة في الحياة
 ويبعث الرضا في النفس أو يخلق حاله من الفلق والمعاناه^(١) تكون ثمرة تفكير
 محق أو تخيل متعمق ..
فتلت فـ **أبصرت النجود**
 بهـجـات غـدـقات بـالمـيـاه
 طـربـا يـهـتر بـشـرـا جـاتـياه
 باـسـما يـنـدى رـضـابـا شـفـتـاه
 يـسـمع الأـغـصـان أـلـاحـان هـواـه
 يـارـعاـهـ الغـيم عـفـواـ يـارـعاـهـ

(١) راجع (المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة وأخرين) ، د. رضا ديب عواضه ، شركة رشاد برس للنشر ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م ، ص ٢٤ وما بعدها .

الوثيق بين الجهاز الحسي والأخر الحركي وخاصة في منطقة التعبير اللغوي
 وهو الأساس الفطري لاكتساب الإطار الشعري الذي يتحدد مضمونه تبعاً للبيئة
 الاجتماعية للشاعر ، وتكون حركة الشاعر كلها هي حركة لإعادة تنظيم «الحن»^(٢)

يمضي فيها بخطوات ينظمها إطاره الشعري ^(١) يقول متابعاً قصيده حريصاً
 على تواصله الاجتماعي مع رفقائه وصولاً إلى «الحن» في صورة مميزة
 تفض عنده أغشية الكآبة وتشقّع عن مشاعره غبار الحزن ورمادية النحيب .

سـأـلـلـ خـفـاقـ الفـوـاـ
دـ يـهـدـ جـنـبـيـ الـوـجـبـ
قـسـمـاـ بـمـنـ عـفـ الـأـدـبـ
وـالـأـدـبـ عـلـىـ الـأـدـبـ
سـأـلـلـلـ فـيـ وـكـرـىـ أـذـيـبـ مـنـ
إـلـحـاجـرـ مـاـذـيـبـ
وـأـلـوـذـ حـيـنـاـ بـالـنـشـيـجـ
إـذـاـ تـعـبـتـ مـنـ النـحـيـبـ
وـأـهـجـرـ الـغـصـنـ الـرـطـبـ ..
أـوـ يـجـبـ الـعـدـلـبـ
حـتـىـ تـحـيـيـنـيـ (ـالـحـمـامـةـ)

وبقي مما يتصل بموضوع الحزن عند باكثير هذه السحابة الداكنة التي
 تلقى بظلالها على إشراقة شعره فتخبو ظلاله حتى في أكثر الأبيات انطلاقاً

^(٢) (يارعاة الغيم) لباكثير وهي أقرب إلى المدرسة الرومانسية والرمزية منها
 إلى الكلاسيكية التي استغرقت أغلب نتاجه ، فيها تمجيد للطبيعة واحتفاء بها
 وتعامل معها برمزية يخلط فيها باكثير بين مظاهرها الخلابة وذاته، بل يجعلها
 بمفرداتها معدلاً موضوعياً لآلام ذاتية وهموم عربية وواقع إسلامي مرير .

يـاـ رـعـاـهـ الغـيمـ قـدـ جـاءـ المـسـاءـ
وـخـطـتـ شـمـسـ الـورـىـ نـحـوـ الـهـجـوـعـ
وـسـيـاطـ تـمـريـ مـنـهـ الدـمـوعـ
لـاتـسـوقـوـهـ بـعـنـفـ وـجـفـاءـ
وـامـسـحـوـاـ بـالـرـفـقـ مـنـهـ الـعـبرـاتـ
وـدـعـواـ التـنـيـكـ بـالـغـيمـ الـحـبـبـ

(١) راجع (الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة) د. مصطفى سيف ، دار المعارف ، مصر ، ط٤ ، ١٩٦٩ ،
 من ٣٣٧ - ٣٣٩ .

(٢) (وحي ضفات النيل) القاهرة ١٩٣٤م ، ص ٢٠ - ٢٤ .

صاحب الريادات والإبداع ...)^(١) قوله : حلم باكثير - كما عرفناه - من خلال أشعاره هو مصر يلتقي بأدبياتها ويستزيد من علمائها وفي قصيدة له وهو على فراش المرض بعد رحيل محبوبته (نور) يقول فيها :

تَلَازِمْنِي بِهَا أَبْدًا شَعُوبَ
حَضَارَةَ بَلْ حَيْثُ يَحْرُمُ الْأَدِيبَ
وَحَيْثُ الضَّادُ مَرْعَاهَا خَصِيبَ
يَسِرُ الْفَاقِبُ مَنْظُرَهُ الْمَهِيبُ

وكم تغنى باكثير بمصر وكم تهلك قلبها وشعره طربا ونشيدا حين نزلها
وصار من قاطنيها، وأديب كهذا من شأن تجهم مصر له أن يؤذى به لاسيما أنه
أشعر برهافته الشديدة وحساسيته الكبيرة تجاه من يحب وما يحب وتجاه
أحدث الحياة برمتها ففي مقال عنوانه (ثلاثة أدباء عرب قتلتهم النقاد في
حياتهم) يقول كاتبه : أما على باكثير فقد كانت الحرب عليه طاحنة لا ترحم
وكان تعلم على خفقه من كل الجهات ، بعد أن كان فارس خشبة المسرح
المصري بلا منازع منذ منتصف الأربعينيات إلى منتصف الخمسينيات وكان
الحرب عليه قد كانت بمقدار انتشاره وكأن القسوة قد نالته بمقدار تمكنه وبنوغه ،
حيث قد أهمل دوره في تاريخ المسرح وان لهم في دوره التجديدي فيه بعد شوقي ،
ولذكر عليه ريادة الشعر الحر أو المرسل الذي سار عليه في مسرحيته (أخنانون
ونغيريتي) ١٩٣٨م ولعل من صور هذه القسوة أيضاً أن امتد الحصار عليه
وحوله فأوصدوا أمامه أبواب النشر ونفوذه من الحياة الأدبية وأبعدوه عن المسرح
وشهوا مسرحياته ، أغلقوا أمامه أبواب الرزق فلا يكاد يعرف له مكتب أو
مكان حتى وهن جسمه ولم يعد يتتحمل أحزانه وأوجاعه يقول باكثير واصفا

هذا ، إضافة إلى أن القصيدة خماسية ، وهذا التتويع في القوافي الذي
ينتظم بحر الرمل ذا التعديلات الأحادية كما يكسب القصيدة توحدا شعوريًا فإنه
يمنحها تجدداً وتتنوعاً في محطات موسيقية متباينة لا تخلو من شذى الحببية ورقة
الحب القابعان في أغوار باكثير إضافة إلى الدرامية المتصاعدة التي بنى عليها
قصيده ...

الأدى الأدبى أعمق وأخر أحزان باكثير :

لعل آخر أحزان باكثير بل الحزن الذي أودى بحياته وهو ما له صلة
بالغرابة الروحية والاغتراب الاجتماعي هو ذلك التجاهل الأدبي والنقدى إضافة
إلى تذكر الأقران وهجمة اليسار والصد والكبح الذى تعرض له باكثير كغيره
من الأدباء ذوى الأصالة والالتزام والضمير اليقظ .. إلا أن باكثير - هذا الأديب
المتجذر في الأصالة ، الجريء في التجديد ، أحد رواد التنویر الإصلاحى السلفى
العظيم في حضرموت الذي أحال انكسار الحب إلى الطموح وغلبة الموت إلى
الإنجاز وألم الفقد إلى العمل من أجل العزة والكرامة والرفة الإسلامية والعربية
لحياة مأمولة مشرقة - لم يستطع أن يتحمل الإيتان من هذه الكوأة أعني أن يؤتى
من طموحة وهو وقد عزم ضد انكساراته ، وهو الأمل الذي بناه سيفايل
(نور) المحبوبة في الفضاء السماوي الرحيب ليعرف لها عليه أمجاد بطولاته بعد
رحيلها وعدم سقوطه في ودهة الألم واليأس والفشل لم يستطع أن يتحمل هجوم
رموز مصر عليه ولم يستطع أن يتحمل متابعته وتصفيته وهو الذي اختار
الكتانة على بلاد الدنيا وعدها أمه وقبلته وموطن هواه ، وهو الذي أشاد بها في
مواطن مختلفة ونسب إليها نجاحاته وتغنى بموافقاتها ورجالها وإنجازاتها
وبطولات أهلها ، ولا تكاد تخلو قصيدة له في ديوان : (وحي ضفاف النيل) من
أبيات يشيد فيها بمصر وأهلها أورد د. محمد أبو يكر حميد في مقاله (علي باكثير

(١) جريدة الجزيرة العدد السادس نفسه .

(٢) المصدر السابق نفسه ص ٢ .

(٣) د. محمد أبو يكر حميد صحيفة الخليج بدولة الإمارات الأحد ٢ أكتوبر ١٩٨٨م .

الخلاصة

وبعد ..

فالحب والحزن وإن كانوا سمة قصائد الشعر العربي التي حفلت بالهجر واللوعة والأرق والخوف والدموع والشهاد والآثرين إلا أنها صوتان تميزا في شعر باكثير وتميز فيما .. وتوصلت الدراسة إلى أن باكثير ذو أصالة عميقة وإيمان أكيد بقيم الأمة العربية وفكرة الإسلام ، ولئن كان باكثير عربيا صرفا في مواقفه مععروبة وقضاياها إلا أنه لا يصدر فيما إلا عن روح إسلامية مكينة ، فالعروبة لم تبرز كقوة لها نقلها في العالم إلا بالإسلام والإسلام لم يخرج إلى العالم قوياً أبداً إلا بالعرب ومن أرض العروبة ..

- كان الحب باعث باكثير الأول على الإبداع والتحليق أما الحزن - لظروف فقد محبوبية باكثير الأثيرة وولعه بالعرب وأمة الإسلام المستضعة - فهو سمه وعنوان حياته وقرير اشتياقه وحبيبه .

- المرأة عند باكثير هي رافق الحب والجمال ، عنها يصدر ، وبها يبدع ولئن كفها يعود ..

- تنوّعت الأشكال الأدائية الشعرية عند باكثير فيما يختص بالحب والحزن ولئن كان كل ما وفقت عليه الدراسة في نطاق البناء الموسيقي التقليدي للقصيدة العربية إلا أنه زوج ومازح ودخل في الموسيقى الخارجية ما بين الأنماط : أحادية الفاقية والثنائيات والخمسيات والبناء التوشيحي ومع ذلك فجبيده لا ينفك عن روح الأصالة الفنية للشعر العربي في الصورة ووحدة الغرض بل في البناء الكلي المتتامي للقصيدة ولا سيما في مطولااته ..

- أبدع باكثير في إخراج قصائده خاصة تلك التي كتبها في مصر ؛ إذ لاحظ الدراسة رقي أدواته الشعرية وتطور تكتيكيه الفني والدرامي والهندسية لقصائده .

- تفوق باكثير في التعامل مع الطبيعة وصفاً وتوظيفها وعلى تعدد قصائده

حاله: « لقد ذبحوني حين أبعدوني عن المسرح »^(١) ومات باكثير في القاهرة مخنوّاً بآلامه النفسية واحتراقه الداخلي ، ومع صمته مات صامداً مؤمناً بأن البقاء للأصلاح وأن الأيام كفيلة بإنصافه وبأنه سيأتي اليوم الذي يلف فيه العدم كل الذين خاضوا في دمه ، وقد قدم مسرحيته (جبل الغسيل) التي هاجم فيها السار الانتهازي وأرباب المنافع وآفات النشر بشجاعة نادرة . ويصاب باكثير بالتهابات وتهيج في المعدة نتيجة لحساسيته الزائدة وأحزانه الشديدة ويسرح لأخيه يقول (وأنتم تعلمون أنني كنت إذا شُقَّ على شيء أو اغترت من أمر أثر ذلك التهيج على بطني فيعاودها الاعتلal وهو دأبي دائماً ...) وصدق د.

محمد حميد حين قال^(٢) (إن مأساة الأقداح من الرجال لاتخصهم وحدهم ، إنها بالنسبة لنا جميعاً مسؤولة .. نظل تلاحقنا ...) ولعل هذا المؤتمر و تلك الدراسات الكثيرة والرسائل العلمية الجليلة التي تعرضت لنتائج هذا الرجل وتخصصت فيه هي من إنصاف الأيام له ولعل سعادة الدكتور محمد حميد جامع ومحقق وحافظ وحامي تراث ونتاج باكثير وهو من منح الذات العالية لباكثير وتعويض له - كما كان يأمل - عن تذكر له من الرفقة والزملاء والمعاصرين له نقادة وأدباء وسوادهم .

(١) المرجع السابق نفسه .

(٢) أسرار وكتابات مناسبة ، صفحات مجهلة من حياة وأدب باكثير ، جريدة الجزيرة . العدد السابق نفسه .

(٣) ثلاثة أدباء عرب قتلتهم النقاد في حياتهم ، صحيفة الخليج ، الإمارات ، العدد السابق نفسه .



مظاهر لغة شعر باكثير في المرحلة اليمنية ديوان (سحر عدن وفخر اليمن) نموذجاً

د. عبد القادر علي باعيسى
كلية الآداب جامعة حضرموت
الجمهورية اليمنية

اللغة واضحة في ديوان علي أحمد باكثير (سحر عدن وفخر اليمن)
نفيق د. محمد أبو بكر حميد، وظاهرة لا تدفع بالقارئ باحثاً عما وراءها ،
كائفاً عن خيالها ، ولا تثير فيه انفعالات غير منتظمة ، أو رؤى غير مألوفة ،
غير أنها على وضوحاً تتركه في حال من الانفعال بسمو المعاني وصدقها ،
بتأثيرات دينية وأخلاقية ، ربما كانت سبباً في ذلك الوضوح ، حتى ليتمكن
للقارئ أن يحس مسبقاً بكثير من مظاهر النص القادم ، أي إمكانية قراءة
المعنى قبل الوصول إليه ، مادام موجهاً بيني كلية من الدلالات الدينية
والأخلاقية الاجتماعية ، وإنما يتغير ظاهر المعنى وفقاً لمستلزمات خارجية ، أو
ما يسمى بمناسبة القصيدة ، فالسياقات الموضوعية بمتطلباتها وتقارباتها تتدخل
لتوجيه القارئ وإرشاده إلى نصوص شعر باكثير في تلك المرحلة المبكرة من
شعره التي يمثلها ديوانه هذا ، بالإضافة إلى ديوانه الأول (أزهار الربي في
شعر الصبا) * وهو لما يزل في اليمن ، قبل أن يسافر إلى الحجاز ، فمصر .

في حب أثيرته الفديدة وكذلك في مراتبه الكثيرة إلا أن التنوع والتجدد في بنائي
القصيدة الداخلي والخارجي قد كان ظاهراً ملحوظاً .

- استفاد باكثير كثيراً من التناص العربي في جوانبه العقدية اللغوية
والأدبية .

وأخيراً (فمن حق باكثير ما دام قد كتب بأصله أن يتواجد بعمق فطاقة
باكثير الحقة تتوارد في الشعر ، والشعر هو الذي دفعه إلى المسرح والرواية ..
والشعر هو أهم مصادر الطاقة عند باكثير فهو الذي ولد نبوغه في كل ما كتب
والذي يعطيه وهو في جوار ربه طاقة على التجول في العديد من العصور ..
ومن حق باكثير أن يبقى ..) آمل لهذه الدراسة أن تشهد ولو بلبنة في دعم
بقائه وخلوده ..

(١) ديوان (أزهار الربي في شعر الصبا) ص : ١٧ نقلأً عن أ.د. عبد بيوي في ثانياً حديثه عن ضرورة إصدار ديوان
باكثير كاملاً .